المخطوطات الإسلامية العربية في ليبيا الواقع والمأمول

د. عبد الحميد محمد العزابي

كلية الدعوة الإسلامية–طرابلس– ليبيا

الملخص:

إن الحديث عن التراث الثقافي الليبي عموماً والمخطوطات خصوصاً حديث ذو شجون، فجذوره عميقة ضاربة في أصل التاريخ، ولا أدل على ذلك من الشواهد المادية الموجودة، كما سيأتي بيانه في هذه المشاركة، والمقصود منها هو بيان صورة ثرية للجانب التراثي المتمثل في المخطوطات، وهي أحد المقاييس الدالة على الجانب الثقافي التراثي الليبي.

وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول/تاريخ دخول المخطوط الإسلامي العربي إلى ليبيا.

المبحث الثاني/ أهم مراكز وجود المخطوطات في ليبيا.

المبحث الثالث/نماذج وأمثلة من مخطوطات علم الحديث في المكتبات الليبية.

Extract:

The talk about the Libyan cultural heritage in general and manuscripts in particular is a controversial talk, as its roots are deep and rooted in history, and there is no evidence of that from the existing material evidence, as will be explained in this post, and the intention is to show a rich picture of the heritage aspect represented by manuscripts, which is one of the Standards indicating the cultural aspect of Libyan heritage.

The research included an introduction, a preface, three sections, and a conclusion. The first topic: The history of the entry of Arabic Islamic manuscripts into Libya.

The second section: The most important centers for the presence of manuscripts in Libya.

The third section: models and examples of hadith manuscripts in Libyan libraries.

المقدمة:

بداية قبل ذكر هذه المباحث نود الكلام على نقطة وهي: هناك ضبابية إن صح التعبير فيما يتعلق بالمخطوطات الليبية، وقد التمسنا هذا الأمر من المهتمين بالمخطوطات وغيرهم ممن هو داخل ليبيا أو خارجها، وهذا في نظري راجع إلى أمرين:

الأمر الأول: قلة المخطوطات الليبية الموجودة حالياً مقارنة بالتاريخ الثقافي الليبي.

الأمر الثاني: غياب المعلومات اللازمة حول هذه المخطوطات، مما صعب عملية الاطلاع عليها والإفادة منها، ولكل من الأمرين أسباب متعلقة به، إلا أن مجموع الأمرين في مجمله راجع إلى عدم استقرار الأوضاع في ليبيا نتيجة الحروب والتقلبات السياسية منذ القدم، وسأبين ذلك من خلال هذه الأمثلة:

1- تعرض طرابلس للاحتلال الإسباني واحتلال فرسان مالطا، في (916هـ)، لمدة أربعين سنة تقريباً، ولا يعلم على وجه التحديد مبلغ الخراب والدمار الذي لحق بالتراث الثقافي المخطوط لمدينة طرابلس، إذ هجر المدينة وغادرها الكثير من سكانها إلى الضواحي حتى استردت المدينة عافيتها سنة 958هـ في العهد العثماني الأول.[1]

2- الضرر الواقع من الاحتلال الإيطالي، فقد أصدر مركز الدراسات والمحفوظات التاريخية بطرابلس نتائج استبان عن أضرار الحرب الإيطالية على ليبيا، أجري على 100ألف أسرة ليبية سنة 1984م من أصل 600 ألف أسرة، فكانت الأضرار الثقافية الواقعة على مكتبات خاصة قد شكلت نحو 744 حالة ضرر ثقافي، والمكتبات الخاصة في معظم القرى والمدن الليبية، كانت إلى ما قبل نهاية الحرب العالمية

(1) انظر: الأسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، لعمر الباروني، وبحث: مكتبة الأوقاف بمدينة طرابلس، لعمار جحيدر في مجلة مجمع اللغة العربية (ع18/ص560). وتاريخ الفتح العربي في ليبيا، للطاهر الزاوي (ص289).

الثانية يمثل الكتاب المخطوط بها 70% تقريبا.[2]

3- أن قسماً من المخطوطات والوثائق نقل إلى المكتبات والمتاحف الأوروبية فترة الاستعمار الإيطالي لليبيا، مثل ما فعل الملازم الإيطالي (نوسيدا) الذي أخذ من قلعة طرابلس مجموعة من المخطوطات الليبية، وقدمها هدية لمكتبة (الامبروزيانا) في ميلانو بإيطاليا، وقد تحصل المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية على صور لبعض تلك المخطوطات بوساطة (روسيلي) مدير المركز الثقافي الإيطالي بطرابلس.[3]

4- قسم آخر من المخطوطات الليبية صادرته السلطات البريطانية أيام الانتداب البريطاني من المكتبة الزروقية، ثم وجدت معروضة للبيع في إسبانيا وغيرها.[4]

5- هجرة كثير من الليبيين في ظروف خاصة بسبب التقلبات السياسية والاقتصادية، وكثير من هؤلاء المهاجرين كانوا ملاكاً للوثائق والمخطوطات، والظروف السياسية والاقتصادية لا نشك أنها كانت مانعة لنقل كل ممتلكات المهاجر ومن ضمنها المخطوطات، مما يجعلها عرضة للتلف، وقد وقف الباحثون من المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية أثناء العمل الميداني على أمثلة لمثل هذه الوقائع منها: إحراق بعض المهاجرين لبعض الوثائق والمخطوطات مخافة اتهامهم بعمل سياسي مناوئ، وبعضهم الآخر اضطر للتخلي عنها أو ردمها لصعوبة حملها، وبعضهم

([2]) انظر بحث بعنوان: إتلاف المكتبات الخاصة من أخطر الأضرار الثقافية الناتجة عن الغزو الإيطالي لليبيا خلال المدة (1911- 1931م)،ضمن أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا، لعمر الزبيدي (830/2).

([3]) انظر: أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا (1185/2)، والوثائق والمخطوطات بمركز دراسة جهاد الليبيين بحث بمجلة كلية الدعوة الإسلامية، لإبراهيم الشريف (ع1/ص187).

([4]) تاريخ المكتبات والوثائق والمخطوطات الليبية (ص29).

اضطر لبيعها للحصول على ما يستعين به في سفره.[5]

6- عدم وجود فهارس شاملة للمخطوطات، والموجود يعدّ حديثا نسبياً، فمثلاً بروكلمان (ت1956هـ) لم يُشِر إلى المخطوطات الليبية في فهرسه: (تاريخ الأدب العربي)، فقد توفي قبل صدور الفهارس الجديدة بثلاثين سنة على الأقل وكذا فؤاد سزكين مع أنه زار المركز الليبي للدراسات والمحفوظات التاريخية، إلا أن زيارته كانت بعد تأليف كتابه: تاريخ التراث العربي سنة 1967م، وقبل الانتهاء من فهرسة مخطوطات المركز، التي لا تعد شاملة لكل التراث المنتشر في ليبيا.

فمثلاً ذكر الأستاذ بشير يوشع صاحب فهرس غدامس في فهرسه أن المسح الشامل لمخطوطات غدامس لم يتم بعد، وأنه يتوقع وجود ما لا يقل عن ألفي مخطوط في غدامس،[6] وهذا ما أكده ابنه الأستاذ قاسم يوشع عند زيارتنا لهذه المدينة قبل سنة، الذي تولى الإشراف على مكتبة والده وأسس جمعية تعنى بالمخطوطات الغدامسية.

7- عدم الدقة ووجود بعض الأخطاء في بعض الفهارس منها:

- نسبة بعض المخطوطات لغير مؤلفيها مثل كتاب الفتح المبين شرح الأربعين النووية للهيثمي، نُسب لابن حجر.

- ذكر اسم المؤلف بما هو غير معروف به، مثل نسبة كتاب جامع العلوم والحكم لعبد الرحمن بن شهاب البغدادي، وعدم ذكر شهرته ابن رجب الحنبلي، وكذا شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد، نُسِب لمحمد بن علي بن وهب الشعيري.

- عدم التنبيه على الاسم المشهور للكتاب وذكر اسم آخر غير معروف به، مما يوهم أنه كتاب آخر، مثال كتاب مصابيح السنة للبغوي ذكر باسم الجمع بين

([5]) انظر: أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا (1185/2)، والوثائق والمخطوطات بمركز دراسة جهاد الليبيين، بحث بمجلة كلية الدعوة الإسلامية، لإبراهيم الشريف (ع1/ص187).

([6]) فهرس مخطوطات غدامس، لبشير قاسم يوشع (ص8).

الصحيحين.

- أخطاء في تصنيف موضوعات المخطوطات، مثل جعل كتاب بلوغ المرام لابن حجر في قسم أصول الفقه، وزوال التَرَح–أي الهم والحزن–في شرح منظومة ابن فرح الإشبيلي في قسم الأدب، وهو في علوم الحديث.

فمثل هذه الأسباب تقلل الإفادة من هذه الفهارس، وهي بحاجة إلى مراجعة وتدقيق بعد هذا الزمن الطويل الذي مر على نشرها.

المبحث الأول: تاريخ دخول المخطوط العربي الإسلامي إلى ليبيا:

إن دخول المخطوط الإسلامي إلى ليبيا كان في زمن مبكر، تزامنا مع بداية التصنيف في العلوم الإسلامية، والأدلة على ذلك يمكن تقسيمها إلى نوعين:

الأول: عرض مؤلفات العلماء الذين كان لهم أثر علمي في ليبيا سواء ممن ولدوا فيها واستوطنوا أو ممن هاجروا إليها.

والنوع الثاني: من خلال كتب الرحلات والتواريخ التي ورد فيها ذكر مؤلفات مفقودة أو مؤلفات لعلماء من خارج ليبيا كانت متداولة في الوسط العلمي في ليبيا، فقد ذكر التيجاني مثلاً في رحلته إلى طرابلس سنة (706هـ) أنه قرأ على أحد الشيوخ صحيح مسلم، والإكمال للقاضي عياض،[7] وبسط هذا النوع قد يطول، وقد لا يعطي نتيجة دقيقة، لاحتمال وقوف الرحالة على نسخة متأخرة عن زمن التأليف كما هو الغالب، لذا سأقتصر على بيان النوع الأول من خلال ذكر بعض الأمثلة مبتدئاً بالأقدم، والمقصد من إيراد هذه الأمثلة هو بيان تواجد مخطوطات هؤلاء المؤلفين في ليبيا في ذلك الوقت بغض النظر عن وجودها الآن في ليبيا أم لا، فالمقصد هنا إثبات تاريخها، ووجودها.

([7]) رحلة التجاني (ص264).

1- علي بن زياد الطرابلسي (ت 183هـ)، صاحب الموطأ، قال ابن يونس المصري (ت347هـ) في تاريخه: وهو الذي أدخل المغرب «جامع سفيان الثورى»، و«موطأ مالك»، وهو شيخ لسحنون.[8]

ولم يتبق من موطأ ابن زياد في وقتنا الحاضر إلا قطعة محفوظة في مكتبة القيروان العتيقة، قام بنشرها الأستاذ محمد الشاذلي النَيْفَر في كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الزيتونة بعنوان: قطعة من موطأ ابن زياد، وهذه القطعة مكتوبة على الرق بخط قيرواني عتيق من القرن الثالث الهجري، فهي كتبت بعد وفاة الإمام مؤلفها، وهو يعد أقدم وأنفس مخطوط ليبي موجود اليوم في مكتبات تونس كما أفاد الأستاذ أبو القاسم كِرّو في بحثه حول المخطوطات الليبية في المكتبات التونسية.[9]

وقد أفرد ترجمته د. محمد مسعود جبران في كتاب: علي بن زياد الطرابلسي ودوره في نشر المذهب المالكي في القرن الثاني الهجري.[10]

2-الفقيه المالكي سحنون صاحب المدونة (ت240هـ)، قيرواني من تلاميذ علي بن

([8]) (153/2).

([9]) بحثه ضمن أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا (991/2).

([10]) وهو من مطبوعات جمعية الدعوة الإسلامية .

زياد، وقد روى عنه الموطأ كما في ختم النسخة المحفوظة من الموطأ المذكور، وسحنون رحل إلى أجدابيا سنة (191هـ)، وسمع منه أهلها،[11] ولا شك في انتشار كتبه في ليبيا آنذاك، والصورة الآتية تبين جزء من كتاب المدونة كتبت على الرَق موجودة في مكتبة خاصة بمدينة أوباري.[12]

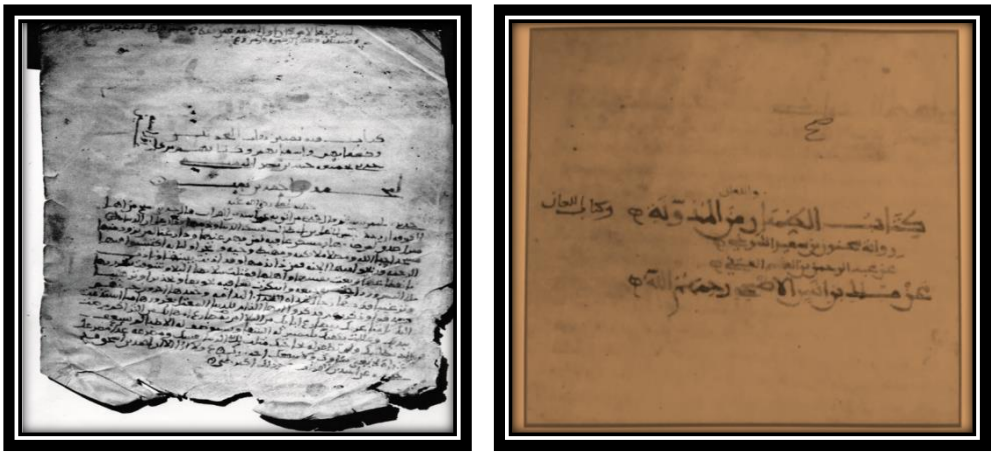

3- محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن أبي زرعة المصري البَرقي الحافظ (ت249هـ)، مؤلف كتاب الضعفاء، والتاريخ، والطبقات، حدث عنه: أبو داود، والنسائي وأبو حاتم الرازي، وهو صاحب كتاب تمييز ثقات المحدثين وضعفائهم وأسمائهم وكناهم،[13] وقد وصل إلينا جزء يسير- خمس ورقات- من هذا الكتاب بخط الحافظ المؤرخ أبي العرب محمد بن أحمد التميمي القيرواني (ت 333هـ)، وعليها إضافات له مفيدة، قد رواها عن شيخه حبيب بن نصر التميمي (ت278هـ)، عن المصنف، وهذه النسخة محفوظة بمكتبة القيروان العتيقة، وهي منشورة بتحقيق د. عامر حسن

(11) ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (47/4).

(12) انظر: فهرس المخطوطات المصورة، بمركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية (ص491).

(13) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (46/13).

صبري.[14]

4- وأخوه أحمد بن عبد الله بن البَرقي، أبو بكر المحدث، الحافظ، حدث عنه أبو جعفر الطحاوي، وأبو بكر محمد بن خزيمة، والطبري، وله كتاب في معرفة الصحابة وأنسابهم، وفي الرجال والتاريخ (ت270هـ).

5- وأخوهما الثالث: عبد الرحيم، أبو سعيد البرقي المحدث، راوي السيرة عن عبد الملك بن هشام. حدث عنه الطبراني كثيراً (ت286هـ)، وبيتهم بمصر بيت علم، وإنما نسبوا إلى بَرقة لأنهم كانوا يتجرون إليها. كما في سير أعلام النبلاء للذهبي[15]، ولا يستبعد أن تكون كتبهم قد دخلت إلى ليبيا في ذلك الوقت.

6- الإمام أحمد بن صالح العجلي[16] صاحب كتاب معرفة الثقات، كوفي الأصل، انتقل إلى طرابلس أيام فتنة خلق القرآن بعد سنة (218هـ)، فسكن طرابلس وتوفي بها سنة (261هـ)، وكتابه هذا كان إملاءات وأجوبة لسؤالات جمعها ابنه صالح، وقد توفي بطرابلس سنة (322هـ) ودفن إلى جنب والده رحمهما الله تعالى.[17] والكتاب صنفه في طرابلس سنة (256هـ)، كما جاء ذلك في ثنايا الكتاب.

والكتاب الأصل غالبه مفقود، وقد بقي منه قطعة عبارة عن جزئين في المكتبة الآصفية في حيدر آباد، ولا يعلم على وجه التحديد تاريخ نسخها، والكتاب في أصله غير مرتب، لذا قام بترتيبه على حروف المعجم السبكي (ت756هـ)، والهيثمي (ت807هـ) بطلب من شيخه العراقي، وقد اعتمد الهيثمي في ترتيبه على نسختين، وللحافظ ابن حجر زيادات لا توجد في نسخة السبكي ولا الهيثمي، مما يدل على اعتماده على نسخة أخرى، وهذا يفيد بتعدد نسخ الكتاب وأنه فقد بعد ذلك، والله أعلم.

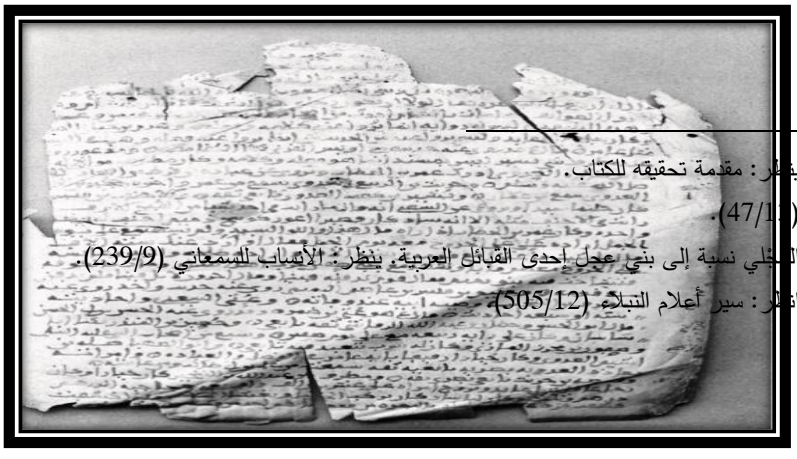

(14) يُنظر: مقدمة تحقيقه للكتاب.
(15) (47/13).
(16) العجلي نسبة إلى بني عجل إحدى القبائل العربية. ينظر: الأنساب للسمعاني (239/9).
(17) انظر: سير أعلام النبلاء (505/12).

وقد حقق مرتين الأولى بتحقيق عبد المعطي القلعجي اعتماداً على ترتيب الهيثمي، أما التحقيق الآخر فهو من عمل عبد العليم البستوي، اعتمد فيه على ترتيب السبكي وترتيب الهيثمي، وضمنه زيادات الحافظ ابن حجر من تهذيب التهذيب. إضافة إلى القطعة الموجودة من أصل الكتاب، وهي مصورة من مكتبة الشيخ حماد الأنصاري بالمدينة النبوية، وأصلها في المكتبة الآصفية في حيدر آباد[18].

وله كتاب آخر بعنوان: تمييز الرجال، وهو في علم الرجال، والنسخة الوحيدة التي وصلت إلينا في (13) ورقة بخط الحافظ المؤرخ أبي العرب محمد بن أحمد القيرواني (ت 333هـ)، من محفوظات المكتبة العتيقة بالقيروان، وقد نسخها من كتاب شيخه أحمد بن معتِّب القيرواني (ت277هـ)، عن مصنفه العجلي، وقد ضمن أبو العرب زيادات في هذا الكتاب، وقام بتحقيقه ونشرها د. عامر حسن صبري.[19]

7- علي بن أحمد بن زكريا الخصيب المعروف بابن زكرون الطرابلسي (ت370هـ)، كان فقيهاً محدثاً، سمع من ابن الأعرابي وابن الجارود وابن المنذر وصالح بن أحمد العجلي، وهو الراوي عنه كتاب معرفة الثقات للعجلي، ومن تلاميذه أبو الحسن القابسي، وأبو الحسن بن المُنَمَّر الطرابلسي، له مؤلفات في الفقه والفرائض،[20] ولم يصلنا شيء من مصنفاته، إلا أن التجاني في رحلته إلى طرابلس سنة (706هـ)،[21] ذكر عن أحد شيوخه أنه قرأ كتاب المعالم الفقهية والدينية لابن زكرون على أحد

([18]) انظر: مقدمة تحقيق معرفة الثقات للعجلي.

([19]) ينظر: مقدمة تحقيقه (ص129).

([20]) انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون (103/2).

([21]) رحلة التجاني (ص257).

الفقهاء الواردين طرابلس سنة (662هـ)، مما يدل على شهرة كتبه وتداولها آنذاك.

8- الإمام أحمد بن نصر الداودي (ت402هـ)، ولد بالجزائر، ونشأ واستقر بطرابلس، ثم رجع إلى تلمسان وتوفي بها، وله عدة مؤلفات غالبها مفقود، وهو من أوائل من شرح موطأ مالك وسماه النامي في شرح الموطأ، ألفه في طرابلس، كما ذكر ابن فرحون،[22]، توجد منه نسخة ناقصة الأول بمكتبة القرويين بفاس، وكذا شرح صحيح البخاري وسماه النصيحة، يعتبر أول شرح لصحيح البخاري ظهر لنا في الغرب الإسلامي، وقد سبقه في المشرق الإسلامي الخطابي (ت388هـ)، بشرحه المسمى أعلام الحديث. وقد أكثر شراح البخاري من نقل أقواله، وله كتاب الأسئلة والأجوبة في الفقه،[23] وكتاب الأموال، كلاهما مطبوع.

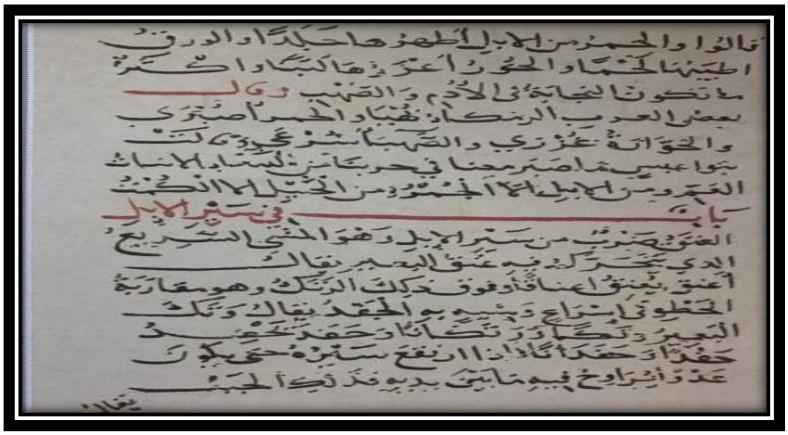

9-أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن المُنَمَّر (ت432هـ)، من أهل طرابلس، أخذ عن ابن زكرون، وكان فقيهاً فرضياً، وكان له دور أساسي في الدفاع عن المذهب المالكي ومناهضة دولة بني عبيد. له في الفرائض كتاب سماه بالكافي، وكتاب في

(22) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (165/1).

(23) توجد منه نسخة خطية بمكتبة جامع الزيتونة، انظر: تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين (162/2).

الحساب،[24] لم يصلا إلينا، إلا أن التجاني ذكر في رحلته أن شيخه قرأهما على أحد الشيوخ (سنة 654هـ).[25]

10- ابن الأجدابي أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الأجدابي الطرابلسي (ت470هـ تقريباً)،[26] وقد سئل أني لك هذا العلم ولم ترحل؟ فقال: اكتسبته من بابي هوراة وزناتة، وهما بابان من أبواب مدينة طرابلس، نُسِبا إلى من نزل بهما، ويقصد بالجواب أنه إنما استفاد علمه ممن وفد إلى طرابلس ودخل من هذين البابين.[27] وهذا النص يدل على المستوى العلمي العالي الذي كانت تحظى به مدينة طرابلس آنذاك، ومن مؤلفاته المشهورة: كفاية المُتَحَفِظ ونهاية المتلفِظ في اللغة وهو مطبوع، وله أيضاً كتاب في العَروض، والمختصر في علم الأنساب وغير ذلك، قال التجامي بعد ذكره لمؤلفاته: وأكثر هذه التأليف ملكتها بخطه، ومنها تأليفه الذي اختصر فيه كتاب أنساب قريش للزبير بن بكار (ت256هـ). وكان -رحمه الله-من أحسن الناس خطاً،[28] وهذا نص يفيدنا في كون كتاب أنساب قريش للزبير بن بكار مع تقدمه كان متداولاً في تلك الأوقات، ويفيد أيضاً أنه كان نسّاخاً للكتب.

11- أبو محمد: عبد السلام بن عبد الغالب المسراتي، أصله من مصراتة، إحدى مدن ليبيا، كان عالماً بالقراءات حَسَن الضبطِ لها، ألف الوجيز في الفقه، والزهر الأنيق في قصة سيدنا يوسف الصديق، هاجر إلى تونس واستقر بها، وكانت وفاته بالقيروان -رحمه الله – سنة (646هـ)[29]

وكتابه الوجيز للتقريب على الطالب النجيب، في الفقه المالكي، توجد منه **نسختان:** الأولى في المكتبة الوطنية بتونس، والأخرى بمكتبة الفاتيكان.وقد طبع

([24]) انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك (274/7).

([25]) رحلة التجاني (ص257).

([26]) ترجمته في: الأعلام للزركلي (32/1).

([27]) رحلة التجاني (ص264)

([28]) المصدر السابق (ص263).

([29]) انظر: أعلام ليبيا للطاهر الزاوي (ص226).

الكتاب في مجلدين في مركز الإمام ابن عبد الغالب المصراتي للدراسات والأبحاث. أما كتابه الآخر فهو الزهر الأنيق فله نسخة في المركز الليبي للدراسات والمحفوظات التاريخية، ونسخة في المكتبة الوطنية بتونس.

12- أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدفي الطرابلسي، مؤسس المدرسة المستنصرية في طرابلس سنة (658هـ)، وقد زارها التيجاني في رحلته، وقال من أحسن المدارس صنعاً.[30]

استدعاه الأمير أبو زكريا ابن أبي حفص فولّاه القضاء بالجامع الأعظم في تونس، وكانت له تصانيف كثيرة، توفي في تونس سنة (684هـ).[31] ومن تصانيفه كتاب: مذكر الفؤاد في الحض على الجهاد. ولم يصلنا إلا أن التجاني ذكره في رحلته.[32] والملاحظ من خلال الأمثلة السابقة:

- أن المخطوط الإسلامي وجد في ليبيا في زمن مبكر.

- كذلك وجود بعض المخطوطات الليبية في تونس، بسبب هجرة مؤلفيها إلى تونس خاصة في القرن السادس وما بعده بسبب كون تونس عاصمة للدولة الحفصية التي تشمل إقليم طرابلس الغرب آنذاك، ومعلوم أن العواصم تكون مقصداً للاهتمام من قبل الحكام ومن قبل الناس أيضاً، فتقصد للهجرة والتعليم، كما ذكر ذلك ابن خلدون،[33] وسيأتي عند الكلام على الفهارس عدد المخطوطات الليبية في المكتبات التونسية والمغربية.

المحور الثاني: أهم مراكز وجود المخطوطات في ليبيا.

يمكن تقسيم أماكن وجود المخطوطات في ليبيا إلى قسمين:

القسم الأول: المكتبات العامة:

القسم الثاني: المكتبات الخاصة والزوايا وهي كثيرة ولذا سأقتصر على بعضها:

([30]) رحلة التجاني (ص252).

([31]) ينظر: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار لابن غلبون (ص175)، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية (375/1).

([32]) رحلة التجاني (ص273).

([33]) تاريخ ابن خلدون (431/1).

أما القسم الأول: المكتبات العامة، وسأذكر ثلاث مكتبات التي لها فهارس:

أولا: مكتبة مخطوطات جامعة قاريونس المركزية بمدينة بنغازي.

تعد هذه الجامعة أول جامعة في ليبيا، إذ أنشئت سنة 1955م، تبنت مكتبة المخطوطات بالجامعة –منذ بداية السبعينيات –جمع التراث الإسلامي من داخل البلاد وخارجه، شراءً وتصويراً. ومن أهم المكتبات التي سعت إلى حفظها مكتبة زاوية الجغبوب التي تمكنت المكتبة من الحصول على 900 مخطوط منها، وكان الايطاليون استولوا على هذه المكتبة وضاع قسم كبير منها أثناء الحرب العالمية الثانية عند نقل هذا القسم إلى قرية سلوق فيما بقي القسم الآخر في بنغازي، وبعد الحرب تم ضمه إلى مكتبة إدارة الأوقاف في بنغازي، ثم عام 1961م إلى الجامعة الإسلامية بالبيضاء، ثم أخيراً نقل إلى مكتبة قاريونس.

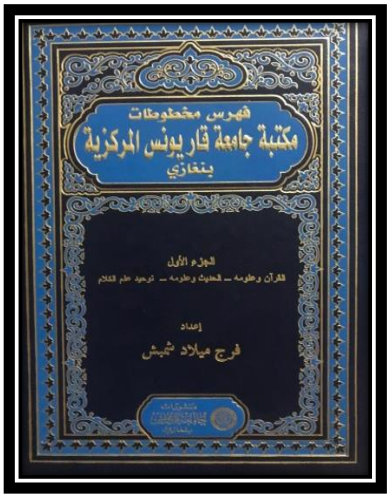

ويبلغ عدد المخطوطات التي تمتلكها المكتبة أكثر من 3500 عنوان، وعدد المخطوطات المصورة يبلغ 1000 مخطوط، جزء منها مصور على ورق، والجزء الأكبر على ميكروفيلم. وتضم هذه المكتبة عدة مخطوطات نفيسة، منها:

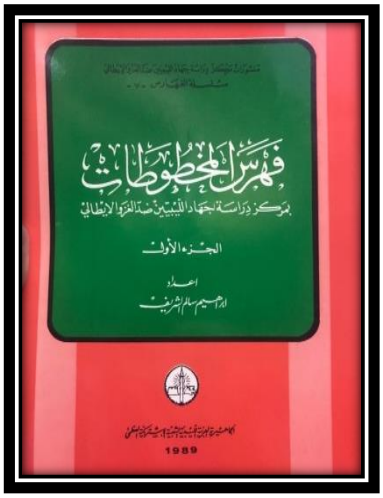

1- تاريخ دمشق نسخة خزائنية نادرة.

2- ديوان ابن حزم، نسخة نادرة نفيسة كتبت في القرن السابع الهجري تقريباً.

وقد فُهرست محتويات المكتبة في فهرس من ثلاثة أجزاء من إعداد الأستاذ: فرج ميلاد شمبش، وطبع سنة 1999م.

ثانياً: المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية: أُنشئ هذا المركز في طرابلس سنة 1978م، وكان من ضمن أهدافه جمع المخطوطات والوثائق الموجودة في ليبيا؛ فسعى إلى ذلك من خلال تكوين لجان عمل ميدانية، موزعة على أنحاء البلاد، لتسجيل الوثائق والمخطوطات. وقاموا بالعديد من الرحلات إلى مظان وجود المخطوطات والوثائق، كما قام المركز بعدة مسابقات بين أصحاب المكتبات الخاصة بالمخطوطات لحث الناس على التعريف بمخطوطاتهم، ثم تصويرها وفهرستها، فمن ذلك مسابقة ابن الأجدابي التي أقامها المركز بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية، وتكررت أربع مرات، تمكنوا من تصوير أكثر من (650) مخطوط كما هو في فهرس المخطوطات المصورة للمركز.

وكانت الحصيلة الإجمالية حسب آخر ما وقفت عليه:

- عدد المخطوطات الأصلية:3180.
- عدد المخطوطات المصورة: 3150.

ويضم المركز عدة مجموعات، أهمها:

– مجموعة مكتبة الأوقاف بطرابلس، وهي تعد أول مكتبة عامة في جهة طرابلس، قام على تأسيسها الوالي العثماني نامق باشا سنة 1316هـ، وكانت تتضمن عند تأسيسها عدة مكتبات: مكتبة مدرسة عثمان باشا الساقزلي (ت 1083هـ) أحد ولاة العهد العثماني الأول، ومكتبة أحمد باشا القرمانلي (ت1158هـ)، مؤسس الأسرة القرمانلية، ومكتبة مصطفى خوجة (ت1217هـ تقريباً)، سكرتير علي باشا القرمانلي الذي ألحقها بمدرسته، ثم ضمت إليها مكتبة أحمد النائب الأنصاري (ت1235هـ)، ومكتبة المفتي السابق محمد كامل بن مصطفى ت1315هـ، وقد ضمت هذه المجموعة إلى المركز الليبي للمحفوظات في سنة 1984م.

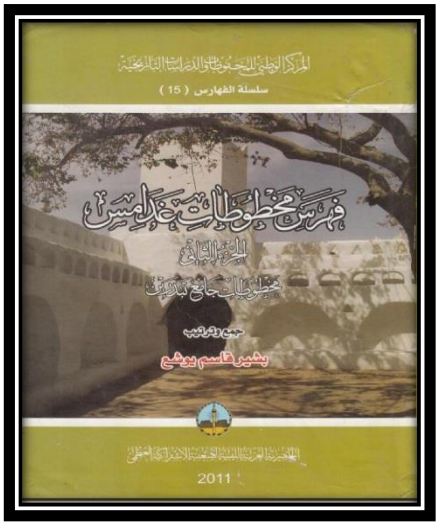

– مجموعة مدينه درج[34] التي تتكون من عدة مكتبات أهمها مكتبة الشيخ داود الخضراوي[35]، ويبلغ عدد مخطوطات هذه المجموعة: 84، وبعد أن ضمت إلى المركز نُشر فهرس لها في العدد الأول من مجلة الوثائق والمخطوطات يتضمن 56 مخطوطا.

– وللمركز فهرس لمحتوياته في ثلاثة أجزاء للمخطوطات الأصلية، وجزء للمخطوطات المصورة، قام به الأستاذ إبراهيم الشريف وصدر الجزء الأول سنة 1989م.

– ثالثاً: مكتبة مخطوطات كلية الدعوة الإسلامية.

أنشئت كلية الدعوة الإسلامية في طرابلس – ليبيا عام 1974م، ولها فروع معترف بها في عدة دول، وكان من أهم مرافقها المكتبة التي تعد من أكبر المكتبات في ليبيا يقصدها الطلاب والباحثون. يحوي قسم المخطوطات فيها على (464) مخطوطاً أصليا، أما المصورات فتزيد عن (1000) مخطوط، وقد سعى القسم منذ إنشائه إلى جمع المخطوطات من داخل ليبيا وخارجها، شراءً وتصويراً، وإهداءً، وهذه صورة من فهرس المخطوطات تم الانتهاء منه مؤخراً، وهو حالياً قيد النشر.

(34) تقع مدينة درج في الجنوب الغربي، وهي تبعد عن طرابلس حوالي (521) كلم، وتقع على شرق مدينة غدامس بمسافة (100) كلم. وهي مدينة أثرية قديمة توجد بها نقوش وكتابات تعود إلى فترات قبل الميلاد، إضافة إلى القلاع والقصور القديمة.

(35) الشيخ محمد الخضراوي بن داود من علماء القرن 13 الهجري، ولد في درج وتلقى تعليمه الأول بها ثم رحل إلى الأزهر ليكمل دراسته، وقد أجازه الشيخ محمد عليش، وأحمد أبو السعود من المالكية، وسليمان بن محمد الرافض من الحنفية، وعلى الأشموني من الشافعية، وبعد أن أكمل دراسته عاد إلى وطنه وعين قاضياً بغدامس ودرج، وظل يعمل طيلة حياته مدرساً ومفتياً إلى جانب القضاء إلى أن توفي ببلده درج انظر: مجلة الوثائق والمخطوطات، السنة الأولى، العدد الأول (ص337).

ـ القسم الثاني: المكتبات الخاصة والزوايا وهي كثيرة وسأقتصر على بعض المكتبات المفهرسة.

– أولاً: مخطوطات مدينة غدامس.تعد مدينة غدامس أهم مدينة ليبية احتضنت المخطوطات، ويرجع ذلك لمكانة هذه المدينة الجغرافية والتاريخية، فهيَ تقع في مثلث يربط بين ليبيا وتونس والجزائر؛ ولذا كانت نقطة وصل لكثير من القوافل التجارية بين الجنوب والشمال الإفريقي، فقد كانت تمر بها القوافل الآتية من مدينة تمبكتو بمالي، ولا تخفى المكانة العلمية التي كانت تتبوؤها مدينة تمبكتو. وأما تاريخياً فيرجع تاريخ مدينة غدامس إلى ما قبل الميلاد، وقد دخلها الإسلام (سنة 42هـ) على يد الصحابي الجليل عقبة بن نافع ﷺ.، ويعد جامع تَـنـدَرين من أهم الجوامع التي حوت مكتبة علمية. وقد قام الأستاذ: بشير قاسم يوشع الغدامسي– رحمه الله–بفهرسة هذه المكتبــة، إضافــة إلى 28 مكتبة خــاصة بلــغ عــدد المخطوطات: 937 مخطوطاً وصُورت كلها على ميكروفيلم، وهي محفوظة لدى المركز الليبي للمحفوظات والدراسات. ولا زالت غدامس تحوي العديد من المكتبات الخاصة التي ما لم تفهرس بعد، وقد ذكر الأستاذ بشير رحمه الله أن المسح الشامل لمخطوطات المدينة لم يتم بعد، وأن بها ما لا يقل عن ألفي مخطوط. ويتولى ابنه حاليا: الأستاذ قاسم الإشراف على مكتبة والده ويعمل على جمع المخطوطات وتصويرها في المدينة.

– **ثانياً:** مكتبة طبقة: تقع هذه البلدة في الجنوب الغربي من ليبيا، على بعد (385) كلم جنوب طرابلس العاصمة. وبها أكثر من 150 مخطوطا، وأكبر مكتبة في البلدة هي مكتبة عائلة الأزهري تتبع الزاوية التي أسسها الشيخ محمد الأزهري (ت1322هـ)، وقد كان الشيخ الأزهري مفتياً لهذه البلدة وما جاورها، وكان ينسخ الكتب بيده، فقد نسخ كتاب التذكرة للقرطبي الذي ما زالت منه نسخة في المكتبة المذكورة، وقد صور المركز الليبي للمحفوظات (22) مخطوطاً من هذه المكتبة.

– ثالثاً: مكتبة الشيخ محمد النعاس في بلدة نسمة وهي بلدة صغيرة تقع في الجنوب الغربي من ليبيا، وتضم مكتبة الشيخ محمد النعاس مجموعة من المخطوطات تبلغ (150) مخطوطاً، قد صور المركز الليبي للمحفوظات جزءا كبيراً من مخطوطاتها في مسابقة ابن الأجدابي.

– رابعاً: مكتبة مخطوطات مدينة غات في أقصى الجنوب الغربي من ليبيا، على مقربة من حدود ليبيا مع كل من الجزائر والنيجر، وتعد مدينة قديمة أثرية، إذ كانت طريقاً للقوافل التجارية، كما كان لها ارتباطاً وثيقاً بمدينة تمبكتو، ويوجد بها أكثر من (50) مخطوطاً.

– **خامساً:** مكتبة آل منيع في الجبل الغربي:

تضم حوالي 200 مخطوطة وصورت كل محتوياتها للمركز الليبي للمحفوظات التاريخية ومكتبة كلية الدعوة الإسلامية.

– **سادساً:** مكتبة زاوية أبي ماضي:

وهذه الزاوية نسبة إلى جبل أبي ماضي ببلدة ككلة إحدى بلدان جبل نفوسة، ويرجع تأسيسها إلى عبد المولى الصنهاجي المولود بالمغرب في منتصف القرن الثامن الهجري، وقد استقر بجبل أبي ماضي بعد عودته من الحج في نهاية القرن الثامن. وقد بلغ عدد المخطوطات فيها 160 مخطوطاً، وقد قام الدكتور علي محمد رحومة بفهرسة محتويات هذه الزاوية في كتابه حول الزاوية المذكورة.

إضافة إلى الفهارس المذكورة آنفا هناك فهارس نشرها بعض الباحثين منها:

1. فهرس مخطوطات الجبل الغربي وهو عبارة عن مسرد مختصر لمحتويات بعض مكتبات الجبل الغربي قام به الدكتور عبد الحميد الهرامة[36]. ذكر فيه 285 مخطوطاً.

2.فهرس للمخطوطات الليبية في المكتبات التونسية، بحث للأستاذ أبو القاسم محمد كِرّو أورد في ملحق بحثه فهرساً فيه أكثر من 70 مخطوطا في ثلاث مكتبات خاصة، هي مكتبة الطاهر بن عاشور، ومكتبة علي النوري، ومكتبته الخاصة، وكلها مخطوطات لمؤلفين ليبيين من القرن التاسع وما بعده.[37]

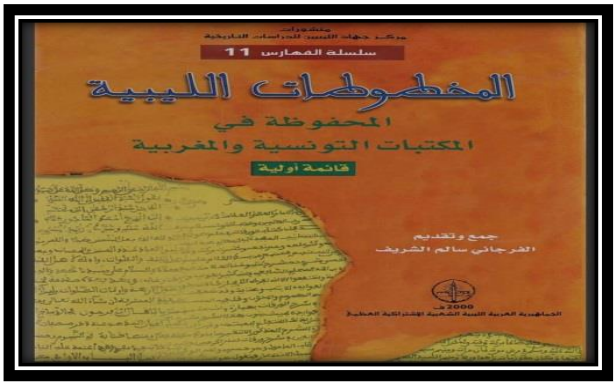

3. فهرس المخطوطات الليبية في الخزائن التونسية والمغربية، قام بإعداده الأستاذ الفرجاني سالم الشريف، سنة 2000م وذكر أنها قائمة أولية، وقد قسمه إلى قسمين، الأول في ذكر المؤلفات الليبية، والقسم الثاني في ذكر مؤلفات صنفت على مؤلفات ليبية، وفهرسه هذا بناه على زيارات لأهم وأكبر المكتبات المغربية والتونسية، كالخزانة العامة، والحسنية، وخزانة القرويين بفاس، ودار الكتب الوطنية بتونس، وغيرها، وقد بلغ عدد المؤلفين الليبيين في هذا الفهرس 46 مؤلفا، وبلغ عدد مخطوطاتهم 264 مخطوطاً من غير تكرار، و965 بالتكرار.

(36) منشور في كتابه: فصول من تاريخ ليبيا الثقافي (ص 257).

(37) البحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا (991/2).

المحور الثالث: أهم مخطوطات علم الحديث في المكتبات الليبية:

من خلال الفهارس المطبوعة قمت بتعداد مخطوطات الحديث فبلغت أكثر من 600 مخطوط مع المكرر، وكثير منها للأسف ناقص إما ابتداء أو انتهاء أو معا، ولذا لم يتمكن أصحاب هذه الفهارس من تحديد عناوينها ولا مؤلفيها، وهذا النوع في الحقيقة يحتاج إلى جهد ووقت للوقوف على عناوينها.

والملاحظ على المخطوطات الموجودة في المكتبة الليبية ما يأتي:

1- لم تتقيد بنوع محدد من أنواع علوم الحديث.

2- لم تتقيد بزمن معين.

3- بالنسبة للمؤلفين لم تقتصر على قطر معين بل متنوعة.

وهذا التنوع في العلوم، والأزمان والأماكن يعطي انطباعا بتنوع التراث الليبي المخطوط، وهو من دلالات الثراء العلمي في ليبيا.

وسأقتصر في هذا المحور على ذكر أمثلة لبعض المخطوطات التي فيها نوع تميز، كقدم المخطوط، أو ندرته، أو كونه بخط المؤلف، أو قرئ عليه.

نماذج من مخطوطات الحديث:

1- إمتاع الأمة بالأحاديث التي اتفق على تخريجها الأئمة الستة، لأبي عبد الله محمد بن عثمان الأنصاري المعروف بابن بنت أبي سعد (ت695هـ)، وهذا المخطوط نسخ قبل وفاة المؤلف بسنتين (693هـ)، والمقصود بالأئمة الستة، أصحاب الكتب الستة: البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

2- الجمع بين الصحيحين-وهو في الحقيقة-مصابيح السنة للبغوي الحسين بن مسعود (ت516هـ)، وتاريخ هذه النسخة 734هـ.

3-نسخة أخرى (مصابيح السنة) نسخت سنة 753هـ. وعليهما تعليقات وحواشي كثيرة.

4- الفائق في تفسير غريب الحديث للزمخشري (ت538هـ)، نسخت في (622هـ).

5- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني (ت1245هـ)، جزآن، الجزء الأول نسخ سنة 1238هـ-جزء منه-تمت قراءته على المؤلف سنة 1241هـ، والجزء الثاني نسخ سنة 1240هـ.

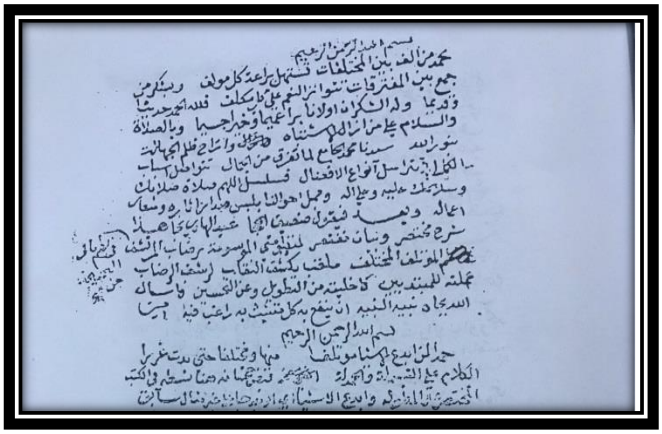

6- كشف النقاب لرشف الرُّضَاب (منظومة) لعبد الهادي بن رضوان الإبياري المصري (1305هـ)، وهو شرح على نظمه لما في الصحيحين من المؤتلف والمختلف، وهذه النسخة بخط المؤلف سنة 1283هـ في 73 ورقة، وقد حققها عدنان أبو زيد، وطبعتها دار النوادر.

7- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (ت 544هـ)، نسخت سنة (725هـ)، وهي من محفوظات مجموعة الأوقاف.

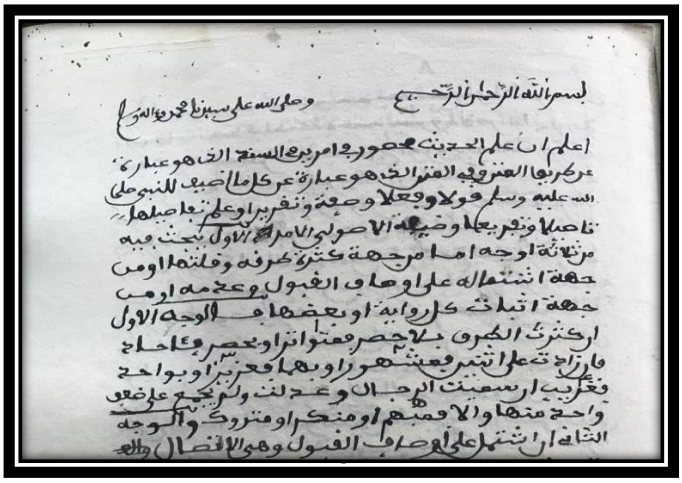

8- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني (ت786هـ)، منسوخة سنة (855هـ)، ونسخة أخرى في قاريونس نسخت سنة (859هـ).

9- اختصار علوم الحديث لابن كثير (ت774هـ)، نسخت في 2 رمضان بعد وفاة المؤلف بأسبوع تقريباً.

10- مخطوط تلخيص في علوم الحديث لمحمد بن علي السنوسي (ت1276هـ)، وقد وقفت على هذا المخطوط في مكتبة الأستاذ بشير قاسم يوشع رحمه الله بمدينة غدامس، وقمت بنشره ضمن أعمال المؤتمر الدولي الثالث لمركز الدراسات والأبحاث في تحقيق المخطوط المغربي الأندلسي بالمغرب.

11- وآخرها مخطوط مشكاة المصابيح للتبريزي (ت 741هـ)، وهو من محفوظات مكتبة كلية الدعوة الإسلامية، نسخت سنة 1078هـ، تقع في 504 لوحات، وتتميز بمقابلتها على عدة نسخ من قبل الناسخ والمحشي، وهي نسخة كاملة.

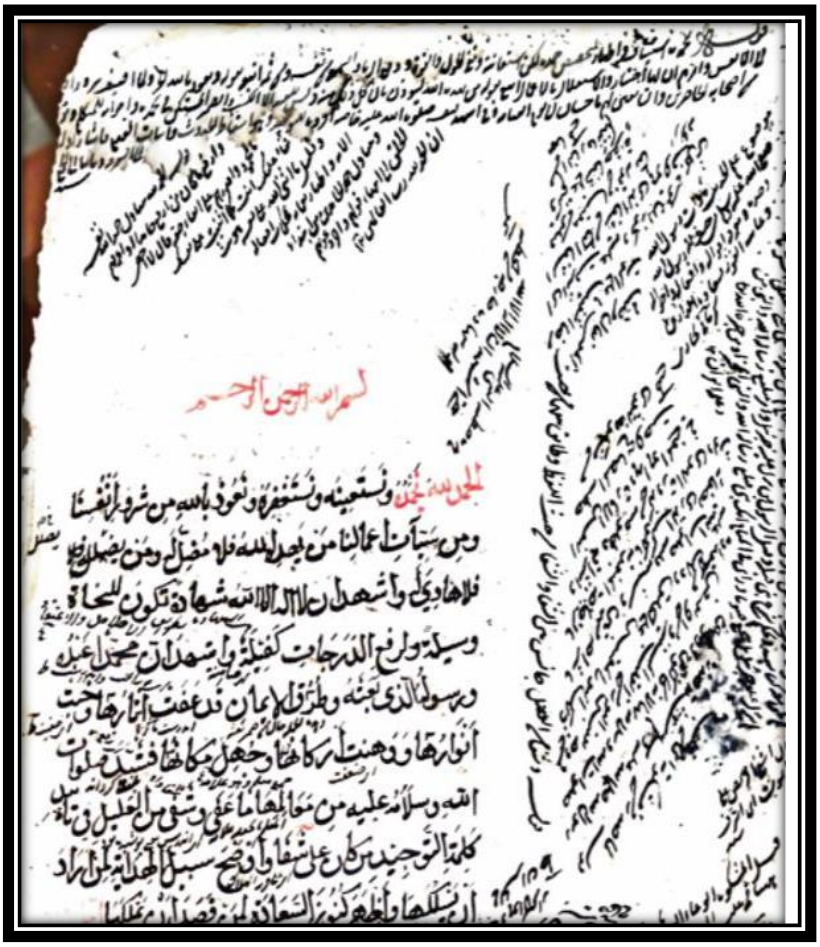

المراجع:

1. تاريخ الفتح العربي في ليبيا، الطاهر الزاوي، ط: دار المدار الإسلامي، 4، سنة 2004م.

2. الأسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، لعمر الباروني، ط: مطبعة ماجي، 1952م.

3. إتلاف المكتبات الخاصة من أخطر الأضرار الثقافية الناتجة عن الغزو الإيطالي لليبيا خلال المدة (1911–1931م)، لعمر الزبيدي، ضمن أعمال مؤتمر الوثائق والمخطـوطات في ليبيـا (803/2)، ط: المـركز الليبي للمحفوظات والـدراسات التاريخية/ عمار جحيدر، 1992م.

4. الوثائق والمخطوطات بمركز دراسة جهاد الليبيين، بحث بمجلة كلية الدعوة الإسلامية، لإبراهيم الشريف، العدد الأول: سنة 1984، ط: كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا.

5. تاريخ المكتبات والوثائق والمخطوطات الليبية، لعبد الله الشريف، ومحمد الطوير، ط: دار الملتقى، 2، 1998م، بيروت.

6. مكتبة الأوقاف بمدينة طرابلس، عمار جحيدر، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية (ع18)، سنة 2021م، مجمع اللغة العربية، طرابلس، ليبيا.

7. فهرس مخطوطات غدامس، بشير قاسم يوشع، ط: مركز دراسة جهاد الليبيين، ط: 1، 1986م.

8. رحلة التجاني، عبد الله بن محمد التجاني، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، ط: الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس 1981م.

9. تاريخ ابن يونس المصري، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت،1421 هـ.

10. علي بن زياد الطرابلسي ودوره في نشر المذهب المالكي في القرن الثاني

الهجري، محمد مسعود جبران، ط:1، 2010م، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا.

11. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، ط: 1، مطبعة فضالة–المحمدية، المغرب.

12. الأنساب، عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني المروزي، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط: 1، 1962م، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.

13. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: مجموعة باشراف شعيب الأرناؤوط، ط: 3، 1985م، الرسالة، بيروت.

14. معرفة الثقات للعجلي، تحقيق: عبد العليم البستوي، ط:1، 1985م، مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

15. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، ط: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

16. الأعلام، للزركلي، ط، دار العلم للملايين، ط: 15، 2002م.

17. أعلام ليبيا، الطاهر الزاوي، ط:3، 2004م، دار المدار الإسلامي، بيروت.

18. التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار لابن غلبون، تحقيق: الطاهر الزاوي، ط: المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة، 1349هـ.

19. تاريخ ابن خلدون، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

20. مجلة الوثائق والمخطوطات، المركز الليبي للدراسات والمحفوظات التاريخية، السنة الأولى، العدد الأول.

21. فصول من تاريخ ليبيا الثقافي، عبد الحميد الهرامة، ط:1، دار أصالة للنشر، بيروت، 1999م.

22. المخطوطات الليبية المحفوظة في الخزائن التونسية والمغربية، الفرجاني الشريف، ط: 1، 2000م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا.